الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع السكرباسي عابدين — القاهرة — تليفون رقم : ٤٢٩٩٢/ ٥٦٧٦٩١

العدد ٢٠٣ — الثلاثاء ٨ من ذي القعدة سنة ١٣٦١ — ١٧ من نوفمبر سنة ١٩٤٢ — السنة الرابعة

فهرس العـــــدد

الحياة الاجتماعية في مصر

البطالة بين العمال والمتعلمين

ذكرنا فيما سبق تنظيم استخدام العمال ، ونذكر فيما يلي شيئاً عن تنظيم استخدام المتعلمين ، وما ينشأ عن هذا التنظيم من تحسين لتخفيف البطالة بينهم .

ذكرنا أن العدد الكلي لمجموع المتعلمين في مصر ليس سبباً في أزمة المتعلمين المتعطلين ، إنما ما يجب مراعاته في هذا الصدد هو أن يقترن الإقبال على التعليم بالتوازن بين العرض والطلب ، طبقاً لكل ناحية من نواحي العمل على حدتها . فالعرض يقل عن الطلب بين متخرجي كلية الهندسة بالأقسام الميكانيكية والكهربا ؛ ويكاد يتقدم العرض بين خريجي الصيدلة وبعض أقسام كلية العلوم ، إذ أن المتخرجين منهم لا يكادون يسدون حاجة الوظائف الحكومية ، بينما يزيد العرض على الطلب بين خريجي كليات الحقوق والآداب والزراعة والتجارة ؛ ويظهر بصورة واضحة بين الحاصلين على شهادة الدراسة الثانوية ويضطرون إلى التوقف عن مواصلة دراستهم . ومن الإنصاف ما دمنا نتكلم عن تنظيم استخدام المتعلمين أن نشير إلى ما يسبق هذا الاستخدام ، وهو وجوب استكمال إعداد جمهور المتعلمين إلى مزاولة العمل سواء في الحكومة أو في المنشآت الحرة .

وقد سبق أن أحالت وزارة المالية في ٢٤ مارس سنة ١٩٣٨ إلى وزارة المعارف العمومية مذكرة قدمتها إليها ضمنتها الملاحظات التي استخلصتها من بعض أرباب الأعمال عن الشبان المتعلمين المصريين ؛ وفي مقدمة هذه الملاحظات أن الكثيرين من المتعلمين المصريين لا يجيدون

إحدى اللغات الأجنبية أو الكتابة على الآلة الكاتبة أو الاختزال بإحدى اللغات الأجنبية .

كما أوصى بعض رجال الأعمال أن يهتم خريجو المعاهد التجارية بالمحاسبة الصناعية والجداول الإحصائية ؛ وأن يهتم خريجو الزراعة بالصناعات الزراعية والمحاسبة الزراعية ؛ وأن يعنى خريجو الفنون والصناعات بالرياضة والرسم والتمرين على وضع التصميمات باللغة الأجنبية ، ووجوب أن يشتغل جميع المتخرجين من المعاهد الفنية التمرين العملى عقب دراستهم .

كما أن الحرب الحالية استلزمت العناية بنوعين من التعليم الصناعى ، أولاً : الصناعات التى تتصل بالحرب مباشرة ، والنوع الثانى : الصناعات التى كنا نعول على استيرادها واضطررنا إلى إنتاجها محليا .

* * *

ومن الإنصاف أن نقرر أن كثيراً من الأسباب التى سبق الإشارة إليها لا يشترط أن تعالجه المعاهد الدراسية لأن الاتجاه فى تزويد الشبان بهذه المعلومات بعد تخرجهم ينتقل إلى المتخرجين أنفسهم ، وإلى مجهودهم الشخصى وخصوصا إذا أقبل ذوو الثقافة العالية من المصريين على إنشاء معاهد ليلية فنية غير حكومية ، أو قامت نوادى المتخرجين وجمعياتهم والإخصائيين من أعضاء هذه الجمعيات بتزويد الأعضاء جميعاً بما يحتاجون إليه من معلومات فنية . إذا ما فرغنا من المرحلة التى تسبق استخدام المتعلمين وجب علينا بعد ذلك أن نواجه النواحى التى يتجه إليها هؤلاء المتعلمون عند ولوجهم باب الحياة العملية .

لا تخرج هذه النواحى عن ثلاث وظائف — الحكومة — والقيام بأعمال حرة خاصة — ثم الاشتغال فى المنشآت والشركات — ولا ندرى أمِن حسن الحظ أم من سوء الحظ أن كانت وظائف الحكومة هى الهدف الأول للشبان المتعلمين ، ويرجع ذلك إلى أن الحكومة فى مصر فضلا عن أنها مهيمنة على الإدارة وتصريف شئون البلاد فهى إلى حد ما منشأة زراعية وصناعية وتجارية فى كثير من الأحيان .

فمثلا تشرف الحكومة على مصلحة الأملاك الأميرية وعلى قسم البساتين ، وعلى المزارع النموذجية ، وعلى الأراضى الشاسعة التابعة لوزارة الأوقاف ، هذا عن الزراعة — وتشرف أيضا على المطبعة الأميرية والترسانة والورش الأميرية ، بل وتضم مصانع نموذجية ، هذا عن الصناعة — والحكومة تشرف على أكبر هيئة شبه تجارية وصناعية وهى مصلحة السكة الحديد والتلغرافات والتليفونات ، كما تشرف أيضا على البورصة وأسواق الغلال وأسواق الخضر ، هذا عن التجارة — ويضاف إلى ذلك اضطلاعها بالتعليم ابتداء من رياض الأطفال إلى التعليم الجامعى ، واضطلاعها بالناحية الصحية من العيادات الخارجية إلى المستشفيات الكبرى .

وأكثر هذه الأعمال تضطلع بها فى البلاد الأخرى إما شركات وإما جمعيات وإما مجالس إقليمية ، وهذا عدا الأعباء التى تستجد تبعا لتطور الحالة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية فى البلاد .

* * *

فإذن لا مفر لمن يريد أن يبحث وسائل الاستخدام أمام الشبان المصريين من أن يعمل حسابا لوظائف الحكومية — ووظائف الحكومة منافس خطر للأعمال الحرة .

فيجب أن نساعد على الاشتغال بالأعمال الحرة أن توجد التوازن والتناسق بين هذين الاتجاهين ، وما دمنا عاجزين عن أن نضطر أصحاب الأعمال إلى مجاراة الحكومة فى نظمها وطرائق الاستخدام والترقية فيها ، فالحكمة تقضى بأن نجتهد فى أن نكون من المرونة حتى نقرب ما بين وظائف

الحكومة ووظائف الشركات ، ولو أدى ذلك إلى إنشاء أو تعديل بعض النظم واللوائح ؛ لأنه بغير هذا الإجراء ستستمر الكثرة الساحقة من المتخرجين متطلعة إلى وظائف الحكومة مفضلة لها عما عداها ، وستوقف جهودها على انتهاز الفرص مهما طال الأمد للالتحاق بها ، فمنهم وهم القلة من يقضى وطره ، ومنهم وهم الأغلبية العظمى من ينتظر .

***

ومن الغريب أن هـذا الوضع قد شعرت به الحكومة من قديم ، وكان الدافع لهـا حينذاك هو الرغبة فى وضع نظام مستقر ثابت للاستخدام والترقية . فقد وجدت أثناء بحثى فى هذا الموضوع ، عندما تقدمت بمذكرة فى سنة ١٩٣٧ إلى اللجنة التى تشكلت فى وزارة المالية لوضع لائحة استخدام ، أن مجلس الوزراء كان قد شكل لجنة فى سنة ١٩١٧ لإعداد هذه اللائحة . واطلعت على [illegible] المستشار المالى الانجليزى عن مشروع تفصيلى لكيفية استخدام الموظفين فى الحكومة .

والطريقة المثلى أن يكون الامتحان هو الوسيلة الوحيدة للتوظف فيما عدا الوظائف التى تتطلب استعداداً خاصاً ، وأن يكون هذا الامتحان معداً فى مواعيد سنوية ، وليكن عقب صدور الميزانية والوقوف على الوظائف التى تتطلبها حاجة الدولة فى العام الجديد ؛ وعلى أن يخصص كل فريق من حملة الشهادات لنوع من الوظائف يجتاز امتحاناً خاصاً به ويتناسب مع مؤهلاته والوظائف المراد شغلها ، حتى تنعدم المنافسة غير المشروعة بين حملة الشهادات العليا والمتوسطة ، وحتى لا ينعدم التناسق الواجب الأخذ به بين مؤهلات من يقومون بوظائف متجانسة ، وحتى تتحدد الأهداف فى وظائف الحكومة أمام حملة الشهادات ، ولا يخبطون فى الحصول عليها خبط عشواء ، ولا يسيرون فى البحث عنها على غير هدى ، فتتعدد أمامهم المسالك ويصبحون كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . وبذلك يقل الضغط على التوظف فى الحكومة فى غير الميعاد المحدد ، ولغير الوظائف المطلوبة ، وبغير الوسيلة الوحيدة المقررة .

كذلك مما يتصل بهذا تنظيم الترقية فى وظائف الحكومة . حقيقة إن حسن سير العمل يحتم فى بعض الحالات مكافأة المجدين ؛ وعلى هذا تسير المنشآت الحرة والشركات . إنما يجب أن يتم هذا فى حدود نسبة عددية لموظفى كل هيئة تقرر فى نظامها ترقية من يراد ترقيتهم لكفاياتهم دون مراعاة القواعد الموضوعة . أما من عدوا هذه النسبة فيطبق عليهم جميعاً قواعد الترقية المعمول بها ، على أن يعنى عناية كبرى بجهود الموظف وتقارير رؤسائه المباشرين ، والأعمال البارزة التى قام بها ، وأن يكون ذلك كله محفوظاً فى «ملفه» ، وأن تكون كل هذه الأسباب مجتمعة هى المرجع الأول والأخير فى ترقيته ، وبذلك تشيع الطمأنينة والثقة فى النفوس ، وتتوحد السبل بين طلاب الوظائف الحكومية وغير الحكومية .

***

وقد أشرنا فيما سبق أن العناية بهذا الموضوع بدأت منذ أكثر من ربع قرن ، ولكن ربما كان الدافع إليها حينذاك الرغبة فى تحسين الأداة الحكومية فقط ؛ إنما فى هـذه السنوات الأخيرة وجد عامل هام آخر وهو العامل الاجتماعى . وقد أوضحنا مدى تأثير نظم التوظف فى الحكومة على التوظف فى المنشآت والشركات وعلى البطالة بين المتعلمين ، بل وعلى الحياة الاجتماعية بصفة عامة .

الناحية الثانية ، عدا وظائف الحكومة ، هى أن يشتغل الشبان المتعلمون بأنفسهم فى أعمال حرة فردية خاصة على أن تبذل لهم المعونة والإرشاد ، وهذا اتجاه لا يخلو من الفائدة ؛ غير أن الاستعداد دل على أن الاشتغال على هذا الوجه فى مصر قاصر على الحقوقيين إذا ما زاولوا مهنة

المحاماة ، وعلى بعض خريجي الزراعة المتوسطة ؛ ويجرى ذلك فى أوربا أيضاً ، إذ أن من يتخرج من الكليات والمعاهد لا يقوم بنفسه بالاشتغال فى الأعمال الحرة لحسابه الخاص بعد التخرج مباشرة ، بل يلحق بشركة تجارية أو صناعية حيث يشتغل فيها بعض الوقت ؛ ففيها يكتسب المران والخبرة العملية ، وفيها ينتقل إذا واتاه الحظ إلى ميدان الأعمال الحرة لحسابه الخاص .

على ذلك فأمثل الطرق ، بعد أن تأخذ الحكومة كفايتها بالقواعد الثابتة الموضوعة ، أن يوجه الشبان المتعلمون إلى الاشتغال لدى أصحاب الأعمال والشركات الصناعية والزراعية والتجارية .

وعدد المنشآت الحرة لا يحتاج إلى بيان ، وكذلك ضخامة رؤوس أموالها التى تستخدم فى هذه البلاد أشهر من أن تذكر — غير أن هذه المنشآت [illegible] دأبت على الاستفادة بجهود أبناء الجاليات الأجنبية فى البلاد ، ويرجع ذلك إلى أنها بدأت عملها فى وقت لم يكن قد انتشر التعليم وتنوعت مناهجه فى مصر ، ويرجع أيضاً إلى أن البيئة والاندفاع الطبيعى الفطرى يحتم على أصحاب الأعمال ومديريها فى تلك الأيام الاطمئنان والاتجاه إلى معونة وخدمات من يتصل بهم .

ولكن بعد أن كثر عدد الشبان المتعلمين ، وبعد أن أعدت البرامج المتنوعة ، ولا زال يستحدث منها ما يتمشى مع حاجة الحياة العملية ، وبعد أن أخذ كثير من المصريين يندمجون فى هذه المؤسسات ، إما شركاء ، وإما فى الإدارة وإما موظفين ، وعرف كثير من رجال الأعمال الأجانب إمكان تعاونهم معهم وإمكان التعويل عليهم ، أصبح للمسألة وجه آخر جديد .

([illegible])

ابراهيم القطريفى

رد على خطاب

[كنتُ أرسلتُ إلى صديق ... «تحية العيد» أسفتُ فيها صداقتي له ، فردّ عليّ بالخطاب الآتي :]

صديق :

سرّني خطابك ، وكان فرحة العيد عندي كما كان فرحة العيد عندك — لم أسرّ لمدحي ، فأنا أعلمُ من عيوب نفسي ما لم تعلم ؛ ولكنها الصداقة ترى كل شيء من الصديق حسناً . إنما سرّني أن كتابك يشيعُ منه الحب ، وأنتَ تعلم أني لا أقدر شيئاً في الوجود تقديري للحب .

لشد ما يخطئ الناس فيفهمون أن الحب ليس إلا الحبّ الجنسي ، ويفوتهم أن وراء هذا أنواعاً من الحب يخطئها العدّ .

هناك حب العامل عمله وفناؤه فيه ، وهو سر نجاحه ، وفقدانه سر فشله .

وهناك حب العالم علمه ، وقد رأيتُ ورأيتَ علماء لا يلذّهم شيء في الحياة إلا بحثهم وكتبهم ، يفضلون ذلك على كل متعة من متع الحياة من ملك ومال وجاه ، ويوم يظفر بنتيجة لبحثه فذلك يعدل عنده الدنيا وما فيها ؛ وقد قرأتَ وقرأتُ أمثلة لذلك عديدة من علماء الشرق والغرب .

وهناك حب الفضيلة وكره الرذيلة ، وكلما ازداد هذا عند إنسان كان أقربَ إلى الخير ، وأبعدَ عن الشر .

وهناك حب المواطن لوطنه وأمته ، فيبذل في ذلك ماله وحياته .

وهناك حب الصوفية لله فيفنَون فيه ، ويشعّ حبهم له على كل شيء من خلقه ، حتى يرَوا الله في الخَلْق والخَلْقَ في الله .

كل شيء في الحياة بارد ما لم يحرّه الحب ، وكل شيء مظلم ما لم يضئه الحب ، وكل شيء تافه لا لذة فيه ما لم يشعّ فيه الحب ؛ وصدق من قال : «الحياة الحب ، والحب الحياة» .

ومقياس حياة الإنسان مقدار حبّه ، فيومَ ينتهي حبه تنتهي حياته .

وما الفرق بين الإنسان والآلة إلا الحب .

كل الناس يُحِب ، ولكن هناك حب أرستقراطي وحب شعبي ؛ الأرستقراطية تسمو بالحب ، فلا تحب إلا الرفيع من المعاني والسامي من المُثُل ؛ إنها بطبعها تستصفي ما حولها وما يحدث لها وما تَلِدُ من أفكارها وما تعتنق من مبادئها فتتعشّقه ، ثم تحب مَن يشا كلها في حبها — وليست أرستقراطية الحب مَولداً ولا مالاً ولا جاها ؛ ولكنها نزعة يهبها الله لمن يشاء من خلقه ، نفس فتتلقّى الوحي من الطبيعة فتحبها ، وتخاطبها الطهارةُ فتحبها ، وتنظر إلى كل شيء ولو كان وضيعاً ، فتولّد منه معاني سامية نبيلة تأنس بها ، وتقرأ الحقيقة في كل شيء فتُجِلّها .

إن أردت السمو بأحد فخذ بيده ليصل إلى الحب الأرستقراطي ، وإن أردت الرقيّ بأمة فبثّ هذا الحب فيها بثاً أكثر ما استطعت ، وهيّئ له من الأسباب ما تقدر حتى يشمه السائح في جوها كما يرى خصائص الأمة في مناظرها .

أخشى أن أكون قد قاربتُ الصوفية في نزعتها وشَطْحها فمعذرة ، وكل ما أريد أن أقول إني أحببت كتابك لحبك في كتابك .

***

أراني هذه الأيام محباً للعزلة ، بعد أن كنتُ — كما تعلم — محبًّا للاجتماع ، ولا أدري السبب ، فأنا غارق — في ريفي — في زرقة السماء وخضرة النبات ، شاعر يسعادتي في منازلة الطبيعة وآسهها ، وعداني بستاني فشعرت أن نفسي زهرة من زهرات الله ، إنما تتفتح وتتفتح إذا أطلقت لها الحرية التامة لتنال حظها من الشمس والهواء ؛ وعداني الأفق اللامحدود فأحببتُ حباً غير محدود . رأيتني أكره الحزب وأحب الأمة ، وأكره الوطنية وأحب الإنسانية ، وأحب خلق الله لله ؛ وعجبتُ

لنفسي وهمي في حدود الحَضَر كيف كانت تجسّم الظل ثم تشقى به ، وتخلق الهمّ من العدم وتألم له ، فإن شئتَ السلامة فتحرر من الحدود والقيود ؛ ورأيتُ سبب همي في الحضر التهاب الشعور وطغيان الحياة الشعورية ، فأطيلُ التفكير في نفسي وفيما حولي ؛ أمّا هنا — في الريف — فأنا أسعد حالاً ، لتبخر كمية كبيرة من شعوري وحلول الحياة اللاشعورية محلّها ، ولعل ذلك من عدوى ما حولي من بذور ونبات وحيوان وطبيعة ، فكأن طفلا يسكن في نفسي في مرحه وأمله وانسجامه مع جوّه ، وغروره بقدرته ولا شعوره . ولهذا لا صبر لي على قراءة إلا قراءة الطبيعة ، ولا كلام في السياسة إلا سياسة الكون في سيره ، فإن كان ولا بد فشعر يمازج شعوري ، أو آية من القرآن تندّى قلبي ؛ ولست أقرأ كما يقرأ الناس ، ولكن أكتفي ببيتين أو ثلاثة ، وآية أو آيتين فيمتلئ جوي بها ، وتتفتح نفسي لها ، فلا أزال أردّدها الفينة بعد الفينة طول اليوم ، وفي كل مرة أشعر لها بطعم جديد ومعنى جديد ، وبالأمس كانت آية : « الله نور السموات والأرض » تملأ نفسي وقلبي وترداد لساني ؛ واليوم كانت آية : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار » محياي وغذائي ؛ وأحياناً — ولا أدري — تدمع عيني من قراءة الآية أو الشعر فأذكر قول ذي الرمّة :

لعل انحدار الدمع يُعقب راحة

من الوجد أو يَشفى شجيّ البلابل

وأخشى أن تعُدّ هذا مني مظهر ضعف أو آية ألم ، ولكني أصدُقك أني أقوى بها ما لم أقو بغيرها ، وأن الدمعة تغسل عيني فأنظر بها ما لم ينظر الناس ، وأشعر أني حيّ بين موتى ، وصاحٍ بين سَكارى .

لقد أحسستُ بعدها أن المدينة بحدودها وقيودها وضغطها كوّنت عقلي تكويناً فاسداً ، وشغلتني بحساب درهم يأتي ودرهم يُصرف ، ونظرية تقرر ونظرية تُهدم ، وحكومة تتولّى وحكومة تُولّي ، ونظام يوضع ونظام يُلغى ؛ حتى لقد هزُلت نفسي من هذه السفاسف ، ومات قلبي من هذه القيود ؛ فالآن أريد أن أميت نفسي المقيّدة وأخلق نفسي الحرة ، وأحطم أبواب سجني وأطير إلى السماء ، وأكنس أفكاري القديمة وأتحرر من موضوعاتها ، وأضع أسساً جديدة للتفكير فيما يحقق نفسي ، وأكسّر أصنام الناس لأعبد ما ليس بصنم ولا وثن .

لقد كنتُ بغير جناح إذ لم يكن جو ، فلما كان الجو كان الجناح .

ولا تحسبني بذلك أريد أن أحيا حياة شعرية لا عمل وراءها ، أو أن أعيش في حُلم خياليّ لذيذ ؛ بل أراني على العكس من ذلك ، أريد أن أعمل وفق حسّي — لقد أحببت الفكرة لا الشخص ، وأحببت المعنى لا المبنى ، شعرت أن كل أرض بلدي ، وكل إنسان أخي ، وكل باطل عدوّي ، وكل حق صديق ؛ وآمنت أن نفسي ليست لي ، إنما هي قوة في العالم لها رسالة ، ورسالتها إزهاق الباطل ، ونصرة الحق ، ومحاربة البؤس ، والأخذ بيد المظلوم ، وكسر الحدود التي تمنع أن يصل ذو الحق إلى حقه ؛ فحبي الشائع دفعني إلى العمل الشائع ، وتجرّدي من الشخصية حملني على أن أؤيّد المعنى أو أحارب المعنى ؛ وشعرت بالكل فوهبت حياتي للكل — وإذ ذاك أحسست أن قلبي كمجرى الماء الغزير لا يقف أمامه العود ولا يعوقه القذى ، وأحسست أني لا أقوّم الأشخاص بعلمهم أو مالهم ، ولكني أقوّمهم بروحهم ، فالمثل الأعلى عندي ليس أرسطو ولا قارون ولكنه النبيّ ؛ وأحسست أني أرى في المعاني كالعدل والرحمة والصدق جمالاً يجذبني أكثر من جمال الصورة والزهرة ، وللظلم والقسوة والرياء قبحاً ينفرني أكثر من القردة والمرأة الشوهاء .

قد كنتُ — وأنا في المدينة — مَغيظاً من مفاسد الأمة ، مُحنَقاً من جنون العالم ؛ واليوم — وأنا في الريف — قد تحوّل غيظي رحمة ، وحنق شفقة ، فأشفق

على الأمة لمصائبها، وعلى الإنسانية لرزاياها؛ وأكثر ما يحملني على الرحمة لها أنها في شقاء وتظنها في سعادة، وفي محنة وتحسبها في نعمة، ورحمتي لم تسلبني رغبتي في العمل كما لم يسلبني الغيظ، ولكن عملي مع الرحمة إنقاذ، ومع الغيظ تأديب.

ما أظلم علماء التربية، يهتمون بتربية العقل والجسم والخُلق، ولا يُعيرون التفاتاً للروح، كأن الإنسان آلة صماء، والخُلق الذي يهتمون به هو الخُلق التجاري من صدق ونظام واقتصاد، وتربية الروح وراء ذلك؛ فالروح هي الوزن في الشعر، والتناغم في الغناء، والانسجام بين آلات الموسيقى، والعلاقة بين أصابع الفنان وأزرار البيان؛ وشقاء الإنسان في شخصه وفي أمته وفي عالمه، من ضعف روحه، واختلال التوازن بين روحه ومادته، وعدم الانسجام بين أجزاء العالم، وعدم وحدتها وليس يوحدها إلا توحيد روحها.

إن ضعف الروح جعل من يحب نفسه يكره غيره، ومن يحب أمته يحارب غيرها، ومن يحب جنسه يحتقر غير جنسه، ولو قويت الروح لعممت حبها ولأحبت البدأ والكل، فكان ثَمّ وفاق لا خلاف، وسلم لا حرب

* * *

بعد غدٍ عيد ميلادي الحادي والخمسون، وهو أول عيد أقضيه في الريف، ولكني أريد أن أعده عيدي الأول، فقد تشابهت نفسي في الأعوام الماضية، فليست متكررة إلا في حساب العدد، أما نفسي الجديدة فلم تتكرر بعد. شتان بين نفس مقيَّدة ونفسٍ طليق، بين نفس مستعبدة ونفس مستقلة، بين نفس مقلدة ونفس مجتهدة. ليخيل إليّ بعد الرياضة النفسية التي ارتضتها أن لا صلة بين نفسي القديمة ونفسي الجديدة؛ ولذلك سأصر على أن أعُدّ عيدي الآتي هو العيد الأول.

قد كنت في الأعياد الماضية أستقبل الناس، وفي هذا العيد سأستقبل نفسي؛ وقد كنت أصافح إخواني وأسامر صحبي وأتقبل هداياهم وتهانيهم، وفي هذا العيد سأتناغم مع الأزهار، وسأفتح نفسي لِيَمْرَحَ بدني ضوء الشمس، وأحتفل بافتتاح عقلي لتلقِّي الحقيقة مجردة من خيالات الناس وأوهامهم، وسأشرب نخب الطبيعة وجمالها والحرية ومتعتها، وسأغنّي للشمس وطلوعها، والشمس وغروبها، والنجوم ولمعانها، والمياه وصفائها، والفَراشة وطيرانها، والزهرة وتفتحها، والثمرة ونضجها، حتى أملأ الجو مَرَحاً وغناء؛ وسأدعو آخر الأمر للإنسانية أن يفك الله أغلالها، ويجنّبها شقاءها، ويبعث الحب في قلوبها، فيكون هذا أول عيدٍ لي من نوعه.

أخي بل صديق:

لعلك تعجب أني لم أردّ على كلامك في الصداقة برأيي في الصداقة؛ ولكني أعتذر لك، فرأيي غيرُ رأيك.

رأيي أن الكلام المباشر في الصداقة لا يقوّيها، إنما يقويها العمل على مناهجها الحقة من غير حديث فيها.

ورأيي أن خير لذة يستمتع بها الإنسان من شيء، أن يتناسى لذته منه ويفنى فيه؛ ألا ترى الشطرنج لو ذكرت دائماً أنك تلعبه، وأنك تتلذذ بلعبه لضاعت لذته، وإنما تصل من لذته إلى الغاية إذا أنت نسيت الشطرنج، ونسيت نفسك ونسيت لعبك، وفنيت فيه! وكذلك الأمر في الكتاب تقرؤه، والموضوع تبحثه، والسينما تشهده، والتمثيل تراه.

وعلى هذا القياس أنا أفنى في صداقتي ولا أذكرها، وأرتشفها ولا أتحدث عنها. ولهذا كتبت لك حول الصداقة، لا في الصداقة.

ومع هذا أشكرك على خطابك، فربما دعا إليه داع لم أتبينه، وهو — في رأيي — خطأ خير من صواب والسلام؟

(حاشية) أحلك من نشر كتابك ونشر كتابي إن شئت، مع حفظ اسمي كما وعدت؟

(طبق الأصل)

أحمد أمين

صور قضائية

على طريقة الرهائن ...

من المجرمين فى مصر من يتبع فى انتقامه نظام « الرهائن » الألمانى — فيما يروى الرواة — إذ يقوم عامل من عمال إحدى المدن الفرنسية مثلا بقتل جندى ألمانى يظفر به منفرداً فى الطريق ، فيكون جزاء هذا العمل عند السلطة الألمانية أن تقبض على أول مائة رجل فرنسى يصادفونهم فى الطريق ، ثم يجعلونهم عشرة عشرة . ويكلفون كل عشرة منهم بحفر خندق يتسع لأجسامهم ثم يأمرونهم بالوقوف فى هذا الخندق ، ويطلقون عليهم النار ثم يهيلون عليهم التراب ، فتعود الأرض سيرتها الأولى — وكان الله يحب المحسنين !

***

وهذا الابتكار الحديث ، قد اهتدى إليه منذ زمان بعيد بعض المجرمين فى هذه الديار ؛ هدتهم إليه طرقهم الإجرامية السلمية ! .. فقد روت الصحف المصرية منذ عهد قريب أنه حوكم أمام محكمة جنايات مصر صياد من السويس كانت له أخت ساء سلوكها . وترامى إلى سمعه شىء من أخبارها ، فحاول أن يثأر لشرفه بقتلها . ولكنه لم يوفق فى محاولته ، ولم تتهيأ له الفرص المواتية لتنفيذها . وكان لأخته هذه طفل صغير . فعمد إليه يوماً وأدخله الحمام ثم ذبحه ذبحاً . واطمأنت نفسه إلى أنه قام بالواجب عليه ، وأن شرفه قد تطهر بدماء هذا الطفل البرىء ... ...

وأنت ترى فى الطريقتين أن الآثم الحقيق يبق بمنجاة من الانتقام ، وأن الشر إنما يقع على أرواح بريئة أخرى لا ناقة لها فى الأمر ولا جمل !

***

وقد أذكرتنى حادثة هذا الصياد ، صياداً آخر من أهل السويس أيضاً كانت له قصة شبيهة بهذه القصة ، من ناحية أن الجانى فى كل منهما قد انحرف به ميله إلى الانتقام فأصاب بجنايته شخصاً آخر غير الذى هو أحق بانتقامه .

وخلاصة قصة هذا الصياد الثانى أنه كانت له جارة منذ الصبا ، فوقع بينه وبينها ما يقع عادة بين كل « بول » وكل « فرجينى » توقعها الظروف فى دائرة نفوذه الغرامى . وتعاهد الصبيان كالمعتاد . وأقسم بعضهما لبعض بالصفا والوفا وباقى تلك الأيمان الشعرية غير المغلظة بأنهما سيحفظان الود ويقيمان على العهد . . . ثم تقدمت بهما الأيام . ونشأ الفتى صياداً كبقية أهله . وبلغ السن التى عندها ترى أمهات هذه البلاد أن الفرصة قد سنحت لشىء من الطبل والزمر ، فيتخذن من نمو أبنائهن مناسبة لهذا الفرح المنشود ، ويعمدن إلى تزويجهن ، فيقع هذا الحدث الأعظم لا لسبب إلا لإدخال السرور أسبوعاً أو بعض أسبوع — وفى معظم الحالات يوماً أو بعض يوم — على نفس أم عجوز أو إخوة محرومات . . . وهكذا تم زواج صاحبنا الصياد ... ...

ولكن لم تكن عروسه « فرجينيا ... » . فلقد كانت هذه ابنة الجارة التى لا تحبها أمه ، والتى كثيراً ما تشاحنت معها إخوته ؛ ولذلك لم يكن من الممكن أن تقبلها الأسرة لتقيم بينهم وتكون فرداً من أفرادهم ...

وإنما كانت عروسه ابنة عمه التى اختارها له أبوه ، واشتركت فى الرضاء بها أمه . وأقام الفتى مع زوجته المفروضة عليه بضعة أعوام ، كان البحر والصيد أكبر معوان له على حمل همومها ، وغسل أوضارها . وكان من عادة زوجته بين الفينة والفينة أن تقصد إلى منزل أهلها فتقضى بينهم سحابة يوم من تلك الأيام الكثيرة التى اعتاد

زوجها أن يقضيها في البحر. فخرجت على عادتها في اليوم الموعود، وتركت طفلتها في البيت لأنها لم تكن تعتزم أن تغيب إلا سويعات. وتصادف أن عاد الزوج بعد خروجها فلم يجدها، وعرف من ابنته أنها سيطول غيابها وقتاً ما. فحدثته نفسه بدعوة جارته لقضاء ساعة معه. ولم يحفل بالطفلة لأنها كانت دون سن التمييز — أو هكذا قدر هو في نفسه — ولم تبخل عليه جارته بهذه الزيارة، وهي التي ظلت السنين الطوال تصوره لنفسها على أنه هو رجلها المرتجى ... وانقضت الساعة التي طالما حسب الفتيان أنها ستكون عشرة الدهر وزمالة العمر. وانصرف الشاب لشأنه وعادت الضيفة إلى دارها. وبقيت الطفلة في لهوها وعبثها حتى عادت أمها ...

ولكن رائحة الغريبة التي دخلت الدار، كانت ما تزال عالقة بجدرانها. وللنساء حاسة شم في مثل هذا المقام هي من منح الطبيعة التي زودت المرأة بأنفها لتشم به وزودت العنزة بقرنيها لتدفع عن نفسها ما قد يلم بها من الأذى. وراب الزوجة أن بعض محتويات الدار لم تكن في الموضع الذي خلفتها فيه، وأن شيئاً يشعرها بأن يداً غريبة عبثت ببعض حاجاتها، وأن قدماً أجنبية قد خطت فوق أرض قاعتها ......

فأخذت طفلتها على ركبتيها. ولاطفتها وقبلتها، وسألتها عن أبيها فعلمت منها أنه عاد بعد خروجها ...... ثم جعلت تحادث الصغيرة وتستدرجها، حتى انكشف لها ما لم يكن قدر له أن ينكشف. ووقعت الزوجة على تفصيلات الزيارة. ولمحت في حديث طفلتها شبح الجارة؛ فما زالت بها من سؤال إلى سؤال، ومن بيان إلى بيان، حتى أصبح ظنها يقيناً، وحتى ثبت عندها أن زوجها خانها مع جارتها.

فرصدته وانتظرت مقدمه. وعاجلته من حيث لم يحتسب، فسقط في يده، ولم يعرف كيف يعتذر. ورأى نفسه صريع ضربة قاضية منذ بداية الجولة الأولى. فبادر إلى إعلان توبته وإنابته. وكان اعترافه الصريح نكبة على نفسه وعلى زوجته، فإن الزوجة لبأكلها الشك ولكنها مع ذلك ترجو أن يكذبها الواقع، وتنهشها الغيرة ولكنها مع ذلك تلتمس النجاة في المكابرة ...

ولم يجد في الموقف ما كان ينفع في مثله من تلاوم الزوجين ... أو تشاتمهما ... أو تضاربهما أيضاً لو أن في الضرب شفاء من الظنون؟

وتنفشت الزوجة، وأقسمت لا تقيم مع زوجها ...

وانكمش الفتى وأقسم ليقدمن لزوجته كفارة ترضيها وتنسيها هذه الزلة ... وكأنما الصدمة التي أصابت الزوجة زادت في صوان أذنيها فلم تعد تستمع لاستغفار زوجها. ولم تفهم شيئاً من وعوده، وأصرت على الفرقة، فكان لها ما أرادت. وكانت الفضيحة التي حاول الفتى أن يتقيها بكل ما أوتي من جهد وفكر. فذهبت جهوده في ذلك أدراج الرياح ...

***

ودارت الأيام دورتها فإذا الفتى يرى جارته وقد طارت من دنياه إلى الأبد بعد الذي لوث به سمعتها، وإذا هو يرى زوجته — وابنة عمه — وقد باتت هي وأهلها عدواً له بعد إذ كانت له ظهراً ووقاءً — كل ذلك بسبب تلك الطفلة الخبيثة التي خيبت ظنه، وهتكت سره، وفضحت أمره، وشوهت حياته ... فأبغضها ... ولم يطق بعد ذلك اليوم أن يراها.

وعاش الفتى أياماً سوداء انطوى فيها على نفسه. وظللته كآبة قاتلة، وضاقت الدنيا في وجهه. فإن المصيبة تلم بالإنسان فيفزع منها إلى أهله أو إلى أهل بيته. فما بالك بمن ألمت به النازلة فأصابته في أهله وأهل بيته.

وتركته فريداً شريداً يحقد عليه من كان يرجو عنده العطف إذا حاق به مثل هذا البلاء . . .

***

واقبل يوما في طريقه إلى البحر . وهو يرجو أن يجد فيه شفاء من هذه الحياة التي ثقلت أعباؤها عليه حتى خيل إليه أنه لم يعد يطيقها . ولكن الأقدار الساخرة هيأت له أن يصادف طفلته في هذا الطريق . فانتشت نفسه لرؤيتها وأحس كأن يدا من السماء مسحت على ما جثم فوق صدره من الأحزان فمحته وطهرته . وأخذ بيد الطفلة وداعبها ولاعبها . ثم احتملها على ذراعه وسار وهو يحادثها ويستمع إليها ، ويسألها عما لا عهد لمن في مثل سنها بمثله . فكان يدهشه منها دقة فهمها وحسن جوابها . وكان يعض على شفتيه من الندم لما فرّط في كنف كل هذه المواهب من قبل . وأخيراً وجد أنه قد أوغل في سيره وأنه أصبح على مسيرة ساعات من البلدة . ولم [illegible] في ذلك المكان الذي بلغه إلا «صندل» بعيد مما تشد إليه زوارق الصيادين قبل خروجهم إلى البحر أو عند عودتهم منه . وكان الوقت ظهرا . ولم يكن عند الصندل أحد ، فقصد إليه وجلس على حافته . ثم أخذ ابنته بين يديه فدلاها في البحر ، ودفعها براحتيه فوق رأسها لتغوص . . . ! ولكن لم تمض لحظات حتى رأى الصغيرة تطفو على سطح الماء وهي تشهق وتضرب الماء بيديها . وعيناها إلى عينيه تلتمس منه النجدة وتبسط له ذراعيها القصيرتين . فمد إليها راحتيه مرة أخرى وجذبها نحو «الصندل» ، حتى إذا ما اقتربت منه وملكتها يداه دفعها بقوة مثل تلك الدفعة الأولى فتوارت تحت صفحة الماء . وما زال بها كلما طالعته بوجهها ردها إلى قرار اليم حتى ذهبت ولم تعد . . .

ثم قام من مجلسه راضيا لا يبالي بعد ذلك إن كان المجتمع سيأخذه بدم ابنته ما دام قد فجع أمها فيها ، وكواها بنارها ، وتركها تعاني حسرات فقدها كما خلفته هذه الأم ليعاني حسرات دهر طويل في هفوة لحظة ، وطيش ساعة !

***

والسؤال الذي لا يزال يرف في رأس الإنسان كلما اعترضته جريمة من هذا النوع هو :

هل من الممكن أن يكون الجاني متمتعاً بقواه العقلية العادية وهو يقارف مثل هذه الجريمة أم أنه لا بد أن يكون قد وقع تحت تأثير خاطر جنوني سلبه سلامة تفكيره ، وركز عقله في فكرة واحدة طغت قوتها على كل ما عداها من نواحي التفكير ، فأصبح لا يحيا إلا في جوها ، ولا يعيش إلا لها ، ولا يعمل إلا على تحقيقها ؟

وهل في مثل هذه الحالة يصح أن يسأل المرء عن عمله كما يسأل العقلاء ، أم أن جزاء هذه الطبقة من المجرمين يحتاج إلى نظر جديد ؟

[illegible] صواب الرأي !

ع . ج

صاحب امتياز المجلة
رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر
أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول
محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لستة أشهر:
٣٠ في مصر والسودان
٢٥ للطلبة ومعلمي الإلزام
٤٠ في الممالك الداخلة ضمن اتحاد البريد
٥٠ في الممالك الخارجة عن اتحاد البريد

ثمن العدد ١ قرش صاغ

المدينة فى الاسلام

إن العرب قبل الإسلام غلبت عليهم البداوة فى جزيرتهم . فكانت حياتهم أساسها التنقل انتجاعا للرعى ، وعمادها بيت يسهل تركه ، وخيام تضرب فى المكان أياماً ثم تحمل إلى غيره ، وما أحسن ما وصف رحيلهم الحارث بن حلزة إذ قال :

أجمعوا أمرهم عشاء فلما ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تصـ ... ـهال خيل خلال ذاك رغاء

فإذا اطمأنت جماعة منهم إلى ماء لاينضب له معين ، فى قلب القفار الشاسعة ، وأرض تنبت الحب والنخيل ، وتغذو الإبل والشياه ، أقامت الجماعة فيه إقامة يمازج بداوتها شيء من الحضارة ، ويرافق الرعى بعض الصناعة ، واستقر القوم فى قرية أو بلد . وهكذا ... شاهداً على ما كانت عليه تلك البلاد قبل الإسلام .

وقد تقع إحدى هذه الواحات فى طريق ... التاجر من صقع إلى آخر ، فينشد رجالها مأوى فى الواحة ومطعماً ، ويألف التجار النزول فيها والاستقرار ، ثم يتخذونها سوقا يتبادلون فيها السلع مع غيرهم ، بدل أن يقطعوا جميعهم المسافات البعيدة ، فيصبح المكان مدينة كبيرة كما كانت مكة قبل الإسلام . فقد جعلها موقعها على طريق القوافل بين الشام واليمن سوقا ومتجرا يهرع إليه البائع والشارى فيصيب كل طرفا وتحفا ، ويحمل إلى أهله وبلده من غلات الأقاليم النائية ما عز وغلا . بل إن أهل مكة أنفسهم أصبحوا يحملون المتاجر التى كانوا ينقلونها من اليمن والشام . فمع أن مكة كانت فى واد غير ذى زرع ، فقد كان لها من تجارتها مصدر ثروة كبيرة ، وكان سكانها أصحاب رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام ؛ وقد ذكر ذلك فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا ربّ هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) . ونحن نلمح آثار هذه النعمة فيهم فى وصف قوافل التجار التى كانت تنتقل بين مكة ودمشق وصنعاء ، فما كان أشبهها بحملات تجارية كبيرة يقوم على حمايتها جيش من الأحباش المأجورين لذلك . وماتحمى جيش إلا قافلة عظيمة الغنى ، كبيرة المتجر .

إلى هذين اللونين من الحياة العربية قبل الإسلام — لون البداوة المحضة ، والحياة التجارية المتمركزة حول السوق — يمكن أن نضيف حياة متحضرة على خير ما عرف العالم القديم . حياة أساسها استغلال الأرض فى الزراعة ، وجمع الماء خلف السدود لإروائها وتوسيع مدى عمل الإنسان فيها ، واستثمار سفوح الجبال فى زراعة الفواكه ، بل والتنقيب عن الثروة المعدنية فى باطن الأرض . كل هذه الأعمال عماد حياة حضرية قوامها سكنى المدن وتجمع الناس والتعاون بينهم ، وتنظيم العمل ، وتبادل المنافع والمرافق . وهذه صنعاء ومأرب وغيرهما من مدن اليمن تشهد بأن أهل تلك البلاد كانوا يعيشون فى المدينة والقرية ، لا فى الخيام وبيوت الشعر . وهذا سد مأرب هو كما قال فيه الشاعر :

رخام بنته لهم حمير ... إذا جاء مواره لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها ... على سعة ماؤهم إذ قسم

وكانت للعرب قبل الإسلام مدن أخرى فى مشارف الشام والعراق . كانت لهم البتراء وبصرى وتدمر والحيرة . مدن قامت حيث مرت طرق القوافل ، فكانت مراكز للتجارة ، وكانت فضلا عن ذلك مراكز المدنية . فثمة الشوارع الجميلة والأعمدة البديعة النقوش والهياكل الفخمة . وهذه المدن التجارية اعتمدت حياتها على مرور المتاجرين منها ، فلما انقطع سيلهم لسبب من الأسباب ، أفل نجم المدينة ، وخربت ، ولم يبق منها أو من بعضها على

الأقل ، إلا الأطلال التي تشير إلى أيام الثروة والرخاء .

هذه نظرة عامة إلى ألوان الحياة من حيث تجمع الناس في بلاد العرب قبل الإسلام . فلما نزل الإسلام بين العرب وغير حياتهم هذا التغيير الذى نعرفه ، والذى حملهم من قفار بلاد العرب إلى سهول الهند وجبال طوروس وشواطئ البحر المتوسط ، وسواحل المحيط الأطلسي ، كان طبيعياً أن يتغير لون حياتهم ، ونظام معيشتهم ، وطرق توزع السكان . فقد احتلوا بلاداً كانت للحياة الزراعية فيها قبلهم دولة ، وفتحوا أقطاراً كانت تجارتها راسخة القدم ، ونزلوا أصقاعاً ثبتت صناعتها على تغير الزمن ، وكانت المدن فيها معروفة مأهولة ، وحياة المدينة عماد تنظيمها السياسي والاقتصادى والاجتماعى .

انتقل العرب إلى محيطهم الجديد ، ونقلوا معهم مثلهم العليا الجديدة التي جاء بها الإسلام ، والتهبت الحية الناشئة التي نزل بها القرآن ، ونشاطهم وحماستهم وعواطفهم ، ومزجوا ذلك بأدب الفرس وعلم اليونان وإدارة الرومان ، فخرج للعالم من كل ذلك المدنية الإسلامية العربية التي انتشرت بدورها من المدن التي عمرها العرب .

وهذه المدن التي ازدهرت في العصور العربية المختلفة كان بعضها مما بنته الأقوام السابقة ، فسكنه العرب وأصلحوه إن كان قد أهمل أو تهدم ؛ وبعضها مما أنشأه العرب من جديد ، وهذا هو النوع الذى أريد أن أتحدث عنه . وأنا واثق من أن المجال لا يتسع لهذا البحث كله ، ولذلك فإنى أنوى أن أعرض الأمر من نواحيه العامة .

جاء بناء المدن واختطاط المنازل في الدولة الإسلامية أمراً طبيعياً بعد احتلال البلاد وفتح الأقطار ، فما كان لهم وهم بدو بعيدون عن حياة الترف والدعة ، أن يفكروا في المدن والأمصار . فلما اضطروا إلى إدارة البلاد المفتوحة ، وعرفوا منازع الحضارة عمروا المدن ، وكانوا كلما أمعنوا في الملك والاستقرار انتشرت مدنهم واتسعت . وقد خضعت المدن التي أنشأتها الدول لأغراض سياسية خاصة لقاعدة الخراب مع زوال الدولة ، أما المدن التي قامت على أسس صحيحة من حيث الموقع والمناخ فقد عمرت طويلا ، ولا يزال الكثير منها قائماً إلى الآن كالبصرة وحيثاب وبغداد والقاهرة .

وكانت أقدم المدن التي أنشأها العرب البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وواسط . ونحن إذا استعرضنا هذه المدن وجدنا أن أصلها مراكز للجند ؛ فقد كانت البصرة معسكراً للجند قبل بنائها مدينة بنحو ثلاث سنوات ، ثم اختطت المدينة لتكون مركزاً للجند ولإدارة جنوب العراق المفتوح ، وأصبحت البصرة والأبلة فيما بعد مركزاً تجارياً لمنطقة شط العرب . وبعد القادسية أمر عمر سعد بن أبى وقاص باتخاذ معسكر للجند في أواسط العراق فأقيم المعسكر سنتين ثم بنيت الكوفة في موضعه ، بناها سعد بأمر عمر . ولما فتح العرب مصر واحتلوا الإسكندرية أراد عمرو بن العاص أن يتخذها عاصمة لمصر ، فكتب إلى عمر ، فلما عرف الخليفة أن النيل إذا امتلأ يفصل بينه وبين المسلمين ، منع عمر من اتخاذها عاصمة ، وأمر أن تكون الفسطاط عاصمة مصر ، فكان ذلك أصل هذه المدينة . وكذلك فتح عقبة بن نافع شمال أفريقية ، واحتاج إلى مركز للعمليات الحربية ، ودار للتموين والسلاح لمهاجمة البلاد الباقية ، فبنى القيروان بالقرب من تونس الحالية . ولما ولى الحجاج إدارة العراق ، وهدأ ثورته على الأمويين ، أراد أن يتخذ له مركزاً لإدارته ومقراً لجنده بحيث يكون بين البصرة والكوفة ، وبحيث يبقى جنده الشامى بمعزل عن جند العراق وأهله ، فبنى «واسط» بين المدينتين المذكورتين واتخذها مقراً لعسكره .

وبناء المدينة للدفاع والإدارة والفتح أمر طبيعى لأن الدفاع عنها أسهل من الدفاع عن المعسكر المكشوف في حالة قيام ثورة . وقد عرض ابن خلدون لذلك إذ قال « إن

القبائل والعصائب إذا حصل لهم الملك اضطروا إلى الاستيلاء على الأمصار . . . لدفع ما يتوقع على الملك من أمر المنازعين والمشاغبين . . . فيعتصم (صاحب الأمر) في المصر ويغالبهم . ومغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة . والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه من الامتناع ونكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة إلى كثير عدد ، ولا عظيم شوكة » .

وينطبق هذا القول بشكل خاص على نوع من المدن عني العرب به في العصرين الأموي والعباسي بشكل خاص . ذلك أنهم لما لم يتمكنوا من التغلب على الدولة البزنطية واضطروا إلى الوقوف في جبال طوروس وأرمينية ، عمروا مدناً كثيرة كانوا يسمونها الثغور أو العواصم ، كانت أكبرها ملطيه . وقد كانت الغاية من هذه أن يقيم فيها الجند في فصل الشتاء ، حتى إذا بدت طلائع الصيف قاموا منها بحملات عسكرية ضد البزنطيين ؛ وهذه تعتبر معسكرات . والحق أن العرب لم ينشئوا هنا مدناً جديدة ، لكنهم عمروا بلاداً كان الدهر قد أخنى عليها بكلكله فهدمها وعفت آثارها .

ومما يلفت النظر في حياة المدينة في العالم الإسلامي أن كل دولة قامت اتخذت لها عاصمة جديدة . فقد كانت المدينة عاصمة النبي الكريم وعاصمة خلفائه الراشدين حتى انتقل عليّ إلى الكوفة . فلما قامت دولة الأمويين اتخذت دمشق عاصمة لها . ودمشق أقدم من الأمويين ، لكن دمشق العربيـة أموية المولد والنشأة ، وهو الأمر الذي حافظت عليه دمشق إلى يوم الناس هذا . أما العباسيون فلم يتخذوا مدينة قديمة عاصمة ، وإنما أنشأ المنصور بغداد لتكون عاصمة للفكرة الجديدة والخلافة الجديدة والملك الجديد . فكانت بغداد في اختيار مكانها وتخطيطها وسكانها ممثلة للحركة التي عرفها العالم الإسلامي على أيدي العباسيين . ومثل عمل العباسيين في العراق ، عمل الفاطميين في مصر ؛ فقد كانت القيروان عاصمتهم حتى فتح جوهر مصر وبنى القاهرة عاصمة الدولة الجديدة . ونحن لا ننكر أن المدينة الجديدة أقيمت على مقربة من عواصم مصر الإسلامية السابقة كالفسطاط والعسكر والقطائع ، لكن بناء القاهرة كان إعلاناً للناس بأن عهداً جديداً قد انبثق فجره في مصر . وهكذا كانت كل من بغداد والقاهرة حصناً للدولة التي قامت بإنشائها ورمزاً لسياستها .

على أن إنشاء المدن ، وانتقال الناس إليها ، واستقرارهم فيها ، وعنايتهم بالصناعة والتجارة ، أمر طبيعي متصل بنوازع الحضارة ، ونمو الملك واتساعه . فكلما اتسعت رقعة الدولة وانتشر الأمن في ربوعها ، وتقارب الناس في مصالحهم وتعاونوا في سبيل الجماعة ، كان نشوء المدن أمراً طبيعياً ، وعندها يتحتم على أولياء الأمر أن يتعهدوا هذه الحركة ويوجهوها توجيهاً صالحاً يحول دون اضطراب الأمور فيها . وقد تنبه الأمراء والخلفاء إلى ذلك ، فعني بعض الدول بالمدن في مملكته على نحو ما حدث في بنائه [illegible] الأمويون قرطبة ، ووجه بنو الأحمر عنايتهم إلى غرناطة . كما عني الخلفاء ببناء المدن التي كانت الغاية منها المتعة والسرور ، مثل سرّ من رأى (سامراء) والمتوكلية والزهراء ، والزاهرة . وهذه أشبه شيء بالحدائق الغناء ، والقصور الفسيحة التي تبنى في العالم المتمدن اليوم . وكان إنشاء هذه المدن في عصر تمت فيه ثروة العالم الإسلامي ، وبلغت حضارته الأوج ، فأصبحت مدنه مدارس يتعلم فيها العالم المعروف عندئذ .

(البحث بقية) نقولا زيادة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٩٤٢/٩/١٦ في القضية ٢٨٤٠ سنة ١٩٤٢ بتغريم سيد أحمد عثمان موسى من التلين ثلاثة جنيهات لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٩٤٢/٩/١٦ في القضية ٢٧٣٧ سنة ١٩٤٢ بتغريم مرزوقي عمر حسب الله من التلين جنيهين لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة

الأب أنستاس الكرملي والأستاذ محمد مندور

لا يهمنا نحن القراء موضوع هذا الجدال العنيف بين الأب أنستاس الكرملي والأستاذ محمد مندور . ولا يهمنا أن نعرف من منهما تغلب على خصمه .

ولكن الذي نحب أن نشير إليه هنا هو أسلوب الأب أنستاس الكرملي في جداله .

يظهر لنا أن الأب الجليل يعتمد في جداله على أسلوبين : الأول : أسلوب الأب الروحي مع رعيته .

الأب الروحي إذا قال كلمة فعلى رعيته أن تتلقاها بالإذعان كأنها منزلة من السماء . وإذا بلغت الفحة من أحد أن يعترض فجزاؤه أن يفصل من الكنيسة أو أن يقدم كفارة .

ألم يقل الأب الجليل للأستاذ مندور :

« نرجو منك ألاّ تعود إلى مثل هذا ، وأن تستغفر عنه عما يغفر لك سيئاتك هذه » ، كأن الأستاذ مندور من رعية الأب الجليل وكأن الأب الجليل ... أو اعترافه ...

الثاني : الأسلوب السفسطائي ، أي أنه لا يهمه في جداله الوصول إلى الحقيقة والخضوع لها أكانت في جانبه أم كانت في جانب خصمه ، ولكن الذي يهمه قبل كل شيء هو أن يغلب خصمه .

موضوع الجدال تحقيق كلمة . فما باله يحاول تحقير خصمه والتهكم به فلا يذكره إلا قال :

« الأستاذ مندور المدرس بكلية الآداب في مصر »

ومعنى ذلك إما أن هذا الأستاذ لا شيء ، فكيف يشغل هذا المركز العالي ، وإما أنه شيء ، ولكنه بالنسبة إلى الأب الجليل لا شيء ، فكيف يتجرأ على انتقاده . وليسمح لي أن أقول إن كلامه لا يخلو مما يشبه أن يكون وقيعة في الأستاذ مندور عند طلابه ورؤسائه .

اسمعه يقول :

« كنا نود أن يرأف الأستاذ مندور بأجداده العرب . أهذا هو إكرامك للعرب أجدادك وأنت تنشئ تلاميذ عرباً ؟! كيف تتمكن بعد ذلك من تعليمهم احترام أسلافهم ؟ نلتمس من حضرتك أن تكرم بني مضر الإكرام اللائق بهم » .

إذا لم يكن هذا وقيعة فماذا يكون ؟ !

فأنت ترى أنه تدرج في جداله من تحقيق كلمة إلى تحقير خصمه ، إلى ما يشبه الوقيعة فيه .

سيدي الأب أنستاس الكرملي ..

نحن القراء نحترم علمك ، ونعجب بسعة اطلاعك ، ووفرة جلدك على التنقيب . ولكننا لسنا نكتمك — والعفو من شيم الكرام — أننا لا نحب أسلوبك .

(القدس) (...)

الشيال

المرحوم « أحمد الشيال » شاب تخرج في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في العام الماضي ، ثم عمل كموظف بسكرتيرية كلية العلوم لمدة أشهر ، ووافاه يوم ٢١ أكتوبر قضاؤه المحتوم . فهو إذن لم يكن موظفاً كبيراً ، ولا وزيراً خطيراً ، بل ولا عالماً منقطع النظير ، ولكنه كان إنساناً أحزنني موته . وهناك شيء يهتز له دائماً قلبي هو الخلق ولقد كان « الشيال » شاباً شهماً صادقاً حيياً عزيز النفس . لقد كانت فيه أريحية الرجولة .

لم أعرفه إلا من زمن قريب ، ولكني كنت دائماً أهش للقياه . هناك نفوس جميلة ، و « الشيال » أحد تلك النفوس — ألا سقت رحمة الله قبره !!

لقد وقفت وفاة هذا الشاب الكريم تيار حياتي ، وكأني أفقت من سكرة . فيم الضجيج وفيم الطموح وها هي الحياة تدبر ؟! أيها الراحل النبيل : لقد كنت أعزك حياً ، وها أنا أقف لأحييك ميتاً ، ضارعاً إلى الله أن يطيب ثراك ويفسح لك من ضيق قبرك ، وأن يجعل من حزني عليك شفيعاً إلى محبته . سنذكرك دائماً بالخير ، وسندعو الله ما ذكرناك أن يبسط عليك الرحمة !!

محمد مندور

بعض مناهج الدراسة الأدبية

يقول « سبيرمان » العالم الإنجليزى المشهور ، فى كتابه « علم النفس خلال العصور » : (هناك حقيقة لعل الجمهور غير الخبير لا يدركها دائماً ، هى أن العلم فى العادة يشمل شيئاً مهما جدا بجانب موضوعه ، ذلك هو طريقته — أو طرقه — التى يعالج بها هذا الموضوع) . ويظهر أن بعض الخبيرين أيضا ينسون هذه الحقيقة أو يتجاهلونها فى كثير من الأحيان ، بل يبدو أن بعض المتصلين بالدراسات العلمية والجامعية فى هذه الأيام لم يصل إلى علمهم أن هناك فرعا من فروع الدراسات المنظمة ، يطلق عليه الآن اسم « علم مناهج البحث » ، وأن هذا الفرع يدرس الصفات التى لا بد أن تتحقق فى طرائق البحث حتى تسمى مناهج علمية ، وحتى يصح أن تبنى عليها نتائج لها قيمتها العلمية ؛ ثم يبحث فى الخصائص التى إذا اجتمعت لطائفة من الدراسات المنظمة المترابطة أمكن أن تسمى علما ؛ ويبحث فى تنوع طرائق البحث — مع اتفاقها فى الأساسيات — حسب تنوع موضوعاتها من رياضية وتاريخية وغيرها .

وتجاهل هذه الحقيقة أو نسيانها هو الذى يدفع الكثيرين إلى أن ينكروا على بعض العلوم صفة « العلمية » ، ففريق من المستنيرين يرفضون الاعتراف — مثلا — بعلم النفس ، وآخرون ينكرون أن يكون التاريخ علما ، وجماعة يحلو لهم أن يعيبوا نظرية من النظريات بأنها فلسفة ! ولعل عددا لا يستهان به من المشتغلين بدراسات الطبيعة والكيمياء والأحياء فى مصر يبتسمون ابتسامة الساخر إذا سمعوا بعض الإخصائيين فى الدراسات الأدبية يقولون « علم الأدب » أو « علم تاريخ الأدب » ، أو « علم النقد الأدبى » ، فهذه فى نظر علماء الكونيات لا تعدو أن تكون مجرد إنشاء ، يدلى فيه كل من شاء بدلوه غير متقيد بطريقة منظمة ولا منهج معروف . وأعرف عالماً من كبار علمائنا المشهورين إذا اشترك فى وضع أسئلة الامتحانات العامة ، قصر همه على الجزء الخاص بالرياضة والعلوم ، فأما شعب الآداب فلا تستحق عنده تدقيقا ولا وقوفا طويلا ! ومن أعجب العجب أن يكون بعض باحثى الأدب أنفسهم عونا على انتشار هذه الفكرة بما يذيعون وينشرون من أن دراسة الأدب ونقده يجب أن تقوم على الذوق المحض ، وأن تنأى كل النأى عن العلم ونظرياته . فكل محاولة لتحديد طرائق الدراسة الأدبية ومصطلحاتها عندهم جناية على الأدب ، وكل دعوة إلى توسيع ثقافة الناقد ودارس الأدب بالاطلاع على نتائج الدراسات الإنسانية الأخرى من نفس وجمال واجتماع تعتبر عندهم إلحادا يظهر فى الأدب ، وخطرا على الإنتاج الأدبى الحر لابد لهم من أن ينتدبوا لمحاربته وتحذير الناس منه . وليتهم يقفون عند هذا بل يندفعون إلى حد الإزراء بجهود رجال البيان العربى فى مختلف عصوره ، ذلك لأن أولئك الرجال حاولوا أن يبحثوا النواحى العامة من الأدب بحثا نظريا ؛ وأن يتناولوا صفات الجمال فيه من وجهاتها العامة ، بجانب ما يفيضون فيه من نقد عملى ؛ وأن يتوسعوا — مثلا — فى مناقشة التشبيه والاستعارة وما إليهما على أساس ما تحدثه هذه الأنواع البيانية فى النفس من تأثير وارتياح . والويل لمن يغفل فيذكر أمام هؤلاء الحنابلة المصريين اسم قدامة (الأعجمى !) فى نقد الشعر ، أو اسم عبد القاهر (الجرجانى) فى أسرار البلاغة !

لهذه الطائفة من باحثى اليوم بعض العذر فيما يكتبون ، فهم يقرأون فى بعض كتب النقد العربى أن فهم الشعر عماده الذوق ، وقد يقرأون نظرية ما من نظريات النقد الغربى الحديث — وما أكثرها ! — تنادى بالاعتماد على الذوق فى فهم الفن ؛ وقد يطالعون فيما يطالعون أن بعض كبار الفلاسفة — وما أكثر اختلافهم ! — يرفعون

الذوق والفروة فوق مقام الذهن والذكاء . وقد يتفق أن يكون هؤلاء أنفسهم من أصحاب الطبائع الانفعالية المرهفة التى يؤثر فيها الفن تأثيراً عاجلاً فتندفع إلى تسجيل أحاسيسها منه فى نقد قائم على الذوق والفطرة ، وهذا اللون من النقد فى العادة يعجبنا كما يعجبنا الفن الجميل ، وقد يجذبنا أحياناً من طريق استفزازنا لما فيه من أقوال جريئة ، وأقضية خارجة على الإجماع ، وهى حيلة ناجحة كثيراً ما يلجأ إليها الناشئون من النقاد ، ولكن نقدهم فى الغالب لا يشبع فينا حاسة الإنصاف والحكم الصحيح .

لهؤلاء، كما ترى سيكلوجية خاصة يختلفون فيها من صنف آخر مقابل لهم يمتاز بالأناة والروية ، والصبر على تفهم الحقيقة ، والنظر إلى الموضوع الواحد من وجهاته المختلفة ، والتسامح مع الخصوم ، لاحتمال أن يكون رأيه خطأ ؛ ورأى الخصوم صواباً . وإذا صح أن نقسم الناس أنماطاً وأصنافاً على حسب صفة معينة تقوى فى بعضهم وتضعف فى الآخرين ، قلنا أن نقول إن هذين الصنفين موجودان بين الناس على درجات متفاوتة ؛ وهناك بجوار هذين آخرون وسط بين هؤلاء وأولئك . وهذه الفروق فى العادة تجد منافذها فى النازع العملية لأصحابها ؛ فالذوقيون يتجهون ناحية الفن وإنتاجه ، والذهنيون ناحية العلم وبحثه ، والآخذون بطرف من الخصلتين إلى النواحى التى تجمع الاثنين كالنقد ، وكالبحث فى الأدب والفن بحثاً علمياً منظماً . وإذا اتجه كل إلى ما يناسبه عاشت جمهورية الفكر فى سلام ، ولكن الذوقيين بطبعهم عجلون لا يستطيعون صبراً على الخلاف والمناقشة ، فالصبر يناقض طبائعهم ، وكثير من جاذبية حياتهم قائم على ذلك الغموض الصوفى الذى يحيط بما يسمونه ذوقاً ؛ ومن أظهر صفاتهم الثورة على معظم المؤلفين من قدامى ومحدثين ، والاندفاع إلى تقرير الأحكام دون مقدمات معروفة ، والنفور من تحديد ما يتكلمون فيه ، وعدم التقيد بمنهج واضح يمكن على أساسه أن يناقشهم مناظرهم ، أو يصل وإياهم إلى كلمة سواء . أما الذهنيون فهم مضطرون — أرادوا أو لم يريدوا — إلى الوقوف عند الحقائق ومحاولة تفهمها ، واصطناع طرق الدراسة لكشف مجاهلها ، والوصول فيها إلى قوانين عامة . وقد ظلوا دهراً يبحثون الحقائق الخاصة بنفس الإنسان — من سجية وعاطفة وغريزة وذكاء وذوق ومزاج وخلق — بحثاً نظرياً حتى جاء العصر الحاضر بدراساته التجريبية ، فاصطنعوا المنهج التجريبي فى دراسة الإنسان ، وراحوا يطبقون البحث العلمى — حتى على حاسة الجمال عنده — ووصلوا بذلك إلى نتائج فى سيكلوجية الفن وأربابه جذبت أنظار الأدباء والنقاد والباحثين فى مختلف الشعوب .

والواقع أن بعض المتحمسين للذوق المجرد يجردون فى تحكيمهم على قاعدة « ويل للمصلين » . فكل من درس كتب النقد الموفق أزهى عصوره يعلم كيف ذهب نقادهما — فى بحوثهم العلمى وفى بحوثهم النظرية — إلى أن عماد دراسة الأدب ونقده إنما هو الذوق والمعرفة ، أو إن شئت فقل الذوق المستنير ، الذى يستمد من ثقافته العامة ملهماً روحياً يعينه على أن يستمتع بجمال الفن ويتعمق أسراره ؛ ثم يستمد من معارفه المنظمة وذهنه المنطق ميزاناً يزن به ما يقول إذا نصب نفسه للنقد والتحليل . وهذا المعنى هو الذى قصدنا إلى تصويره فى عرضنا لآراء الشعراء النقاد من الإنجليز (فى الثقافة) ؛ وهو المعنى الذى عبر عنه «الدكتور عبد الوهاب عزام» فى إحدى مقالاته عن مكانة الأدب العربى بين آداب الأمم (الثقافة عدد ٢٠٠) إذ يقول : (ولا بد للأديب من إدراك بليغ ، وإحساس مرهف ، وإبانة قوية ، وكلما اتسعت معارف الأديب اتسع أمامه مجال البيان ، وازدادت قدرته على الإبانة والتصور ، وتمددت أمامه سبل القول ، فمن أوتى طبعاً دراكاً مبيناً وضاقت معارفه فهو ضيق المجال ، لا يرقى عن العامة

وأشباه العامة إلا قليلا ، ومن أوتى معرفة ولم يرزق الطبع اللين المصوِّر فهو عالم ليس له فى الأدب مجال) . وما قيل هنا فى الأديب يقال مؤكداً عن ناقد الأدب ، فهو شخص لا يتذوق فحسب ، ولا يستمتع بالجمال فحسب ، ولا يشارك فى تجربة الفنان فحسب ، ولكنه يزن ويحلل ويحكم ويميز الجيد من الردىء ، ويحاول أن يوصل هذه الأحكام إلى أكبر جمهور ممكن من المثقفين . فمن حق البحث والإنصاف عليه أن تكون له فكرة (أو فلسفة) فى الأدب وطبيعته ومجاله ومنابعه من الشخصية الإنسانية ومسالكه إلى النفوس ، وأن تكون هذه الفكرة واضحة التطبيق فى نقده العلمى . وبعبارة أخرى يجب أن يفهم «أن دولة الأدب (كما يقول أبركرومبي فى كتابه «قواعد النقد الأدبى» — ترجمة دكتور محمد عوض) تحتلها ملكات ثلاث : الأولى ملكة الإنتاج ، والثانية ملكة التذوق ، والثالثة ملكة النقد ؛ وأهم ما تمتاز به ملكة النقد أنها يمكن أن تكتسب — مع أنه من الجائز أن يكون النقد أحياناً غريزياً — فالناقد عادة يكون مدركا للخطة التى يتبعها فى نقده ، وهذه الخطة تعتمد على قواعد منطقية خاصة قابلة لأن ترتب بحيث يتألف منها نظام خاص ، ومن الممكن دراستها وتطبيقها فى دقة وعناية ...» ويقول : «بدأ النقد — كجزء من النشاط الأدبى — حينما انتقل الناس من التفضيل المبهم إلى الاختيار الذى يمكن تبريره بشكل معقول ، أو بعبارة أخرى حينما تسنى للناس الرجوع إلى قواعد عقلية ... ولكن هل هناك فائدة من الرجوع إلى مثل تلك القواعد ؟ أجل ، فائدة ذلك أن يكون حكمنا مبنيا على العقل ، وأيا كان الموضوع الذى يفكر فيه الإنسان ، فإن هناك أناسا يصرون على أن يكون تفكيرهم بالغا أقصى حدود الدقة والجلاء ، وهنالك فائدة للنقد أوضح من هذه ، وهى أنه تمكن الرجل الذى رزق مقدرة على الإنتاج الأدبى من أن يستخدم مقدرته هذه بذكاء ، وأن يستغلها على أحسن وجه وأكمله . وكذلك الرجل الذى رزق المقدرة على تذوق الأدب فإن استمتاعه يصبح مبنيا على أساس من الفهم وحسن التخير . . . » . والمتتبعون لكتابات «أبركرومبي» — وقد كان أستاذ الأدب الانجليزى فى لندن وأكسفورد — وحاضر فى القاهرة منذ سنوات — يعلمون كيف يقسم هذا العالم ميدان النقد إلى ناحيتين : الناحية الأولى ما يسميه «نظرية الأدب» ، وفى هذه ينظر الباحث تلك النظرة العامة الشاملة إلى الأدب والخصائص المشتركة بين أنواعه ، والوظيفة التى يؤديها ... ومن هذه المباحث والأجوبة عليها تتألف قواعد منظمة نستطيع أن نعبر بها عن مبلغ فهمنا لطبيعة الأدب ، وهى قواعد مشتقة من الأدب نفسه وليست مفروضة عليه فرضا . والناحية الثانية هى ما يسميه النقد بالمعنى الخاص ، وفيها يشغل الباحث بالقطعة الأدبية وصفاتها وأسلوبها تمناء الموضوع — أعنى ما يشمل اللغة والإجادة الفنية والوحدة والروح واختيار الموضوع . وهاتان الناحيتان ممتزجتان بحيث لا يمكن الفصل بينهما ، فنظرية الأدب لا بد لها من الرجوع دائما إلى صلب الأدب ؛ ولا بد للنقد الخاص من أن يعتمد على شىء أقوى وأمتن من مجرد أثر تحدثه فى النفس ميول شخصية أو طوارئ عاطفية .

فالفكرة التى اتجهت مقالاتنا فى «الثقافة» إلى إبرازها هى توسيع ثقافة الأديب والناقد وطالب الأدب من طريق الاطلاع على نتائج الدراسات الإنسانية الأخرى — بعد ممارسة الأدب وتذوق روائع آثاره طبعاً — ثم رفع البحوث الأدبية إلى مستوى منظم واضح المعالم تتلاقى فيه عقول الباحثين وأذواقهم . وهذا منهج سلكه باحثون سابقون ومعاصرون ، نطبقه نحن لطلابنا فى قاعات الدرس ، ونعرضه عليهم ليفهموه وينقدوه ويطبقوه إذا شاءوا . وعلى ضوء هذه الفكرة الأساسية يمكننا أن نتبين وجه الحق فيما ينادى به بعض النقاد اليوم من تقريب

المواقع الحربية والبحرية

نحن الآن فى أحدى البوارج الحربية، وسوف ننتقل بك فى أماكنها المختلفة، لنعرف كيف تلقى القذائف منها بانتظام، حتى تصيب أهدافها المطلوبة. والآن لنبدأ بأعلى غرفة فى البارجة، وهى غرفة القيادة، فإنك تشاهد بها بعض الضباط البحريين يرقبون بالمراقب (التلسكوبات) ما يحيط بالبارجة لدائرة مدى نصف قطرها ١٢ ميلا.

فإذا لمحوا إحدى سفن العدو يسرعون فى تقدير المسافة والسرعة، ويحسبون سرعة الريح واتجاهه، ويرسلون بإشارة «تلفونية» كل هذه المعلومات إلى غرفة الخطط.

ولننتقل الآن إلى غرفة الخطط، حيث تسجل جميع البيانات التى تصل من غرفة القيادة، فيقدر رجالها المرمى الحقيقى للقذائف وحولتها، ويرسلون إشارات بذلك إلى الأبراج أو الحصون الموجودة بالبارجة.

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى أحد هذه الحصون فهناك يتسلم أحد رجالها من غرفة الخطط المدى الصحيح ومقدار حمولة الطلقات، ويسرع فى توجيه المدافع فى اتجاه الهدف المطلوب حيث سفن العدو.

ويوجد أسفل كل حصن مخزن خاص يكون مهمة رجاله شحن القذائف المطلوبة وإرسالها إلى الحصن بمصعد خاص.

وإذا ما تم شحن جميع المدافع يبلغ ذلك بإشارة كهربية باستخدام «لمبة» خاصة تضاء بغرفة المراقبة، ويتلقى ضابط المراقبة بالغرفة العليا الإشارات المختلفة من الأبراج المتعددة.

والآن تأتى لحظة رهيبة؛ فعند ما يتلقى الضابط بغرفة المراقبة هذه الإشارات، التى معناها أن جميع المدافع معدة ومشحونة بالقذائف، وأنها مصوبة وجهة سفينة العدو، فإنه يدير مفتاحا خاصاً، فتطلق القذائف كلها دفعة واحدة، وتهتز البارجة هزة عنيفة من مقدمتها لمؤخرتها، وتنطلق هذه القذائف كوميض البرق مدفوعة بقوة، مصحوبة بصوت هائل، محاطة بسحابة كثيفة من الدخان، وتطير هذه الأطنان فى الجو كأنها وابل من الحمم، ثم بعد المسيرة كلها بسرعة فى لمحات زمنية قصيرة، تصل هذه القذائف لتصيب الأهداف إذا كانت على بعد اثنى عشر ميلا فى نحو العشرين ثانية.

ولا تنتهى مهمة ضباط المراقبة عند ذلك، بل إنهم يرقبون مدى إصابة القذائف التى أطلقت، فيسجلون ذلك؛ وإذا احتاج الأمر لعمل تصحيحات عملت فوراً وبلغت إلى غرفة الخطط، ويستمر شحن المدافع وإطلاق القذائف.

وتجهز البوارج بحيث يمكن إلقاء أكثر من مقذوف واحد فى الطلقة الواحدة، فيطلق مثلا اثنا عشر مقذوفاً فى المرة الواحدة، ويتوالى إطلاق هذه الأطنان الثقيلة باستمرار.

ومن المهام الملقاة على عاتق ضباط المراقبة أنهم يرقبون سير هذه القذائف حتى تهبط، فإذا هبطت فى الماء لوحظ ارتفاع الماء لعلو كبير كأنه فوارات، فتظهر لضابط المراقبة

المسافة بين الدراسات السيكلوجية والجمالية من جهة، وبين الدراسات النقدية من جهة أخرى، أو ما يفضل بعضهم أن يسميه «سيكلوجية الأدب». وهو موضوع لنا فيه رأى تمهيدى قد نلخصه بعد. وسنحاول أن نعرض بعض نماذج من التأليف العربى قديمه وحديثه، فى البلاغة والنقد يتبين منها أن الذوق والمعرفة فى دراسات الأدب صنوان لا يفترقان، وأن مثل من يعارض إحدى الطريقتين بالأخرى كمثل من يريد إرغام الرجل اليمنى على مسابقة اليسرى.

(للكلام بقية) **محمد خلف الله**

كأنها خط أبيض ، فيحسب وهو في مكانه مقدار بعد هذا الخط من قاعدة الهدف الذي يبغي إصابته ، ويرجع إلى رسوم بيانية معه تساعده على تصحيح مقدار خطئه في مدى القذف ؛ ويمكنه في الوقت نفسه ملاحظة ما إذا كانت الإصابة يمين أو يسار الهدف ، فيغير لذلك الميل الضروري للقنابل التي تلقى في المرة التالية .

وفي حالة ما إذا كانت المسافة كبيرة بين السفن التجارية ، كعشرين ميلا مثلا ، فإنه يصعب على ضباط المراقبة مشاهدة إصابة الأهداف ، وعليهم أن يعتمدوا في هذه الحالة على خدمة الطائرات التي عليها أن تغامر وتطير فوق سفن العدو ، حيث ترسل لاسلكيا بملاحظاتها عن مدى إصابة القذائف وما يلزم من تعديل أو تغيير ، حتى تكون الإصابات مسددة تماما ، وتكون الطائرة معرضة بطبيعة الحال لوابل من قذائف المدافع المضادة للطائرات .

وإذا كانت الطائرة من راميات القنابل ، فإن على قائدها أن يراقب من طائرته المرتفعة ويقدر اتجاه وسرعة الهدف الذي تحته مع حساب ارتفاع طائرته بالضبط ؛ ومن هذه التقديرات يسمح لقذائفه أن تهبط من طائرته لتصيب هدفها ؛ وإذا صادفه سوء الحظ وكان على السفينة المعادية بطارية أو بطاريتان من المدافع المضادة للطائرات ، والتي تصوب قذائفها نحوه ، فإن مهمته تصبح شاقة عسيرة ليركز اتجاه قنابله على السفينة . وفي مثل هذه الأحوال لا تكون تقديراته محققة ، وتكون إصاباته بنت الصدف ، وعلى مقدار مهارته في الإفلات من القذائف المصوبة نحوه .

وهناك قذائف الطوربيد التي تطلقها المدمرات ، ويقدر فيها ضابط القيادة سرعة واتجاه هدفه ، ويحرر وصول الطوربيدات لتتقابل مع خط سير الهدف الذي يصوب نحوه ؛ غير أن مهمته شاقة أيضاً ، فهو يقوم بهذا التقدير وسط وابل كثيف من سحب الدخان الناتج من قذائف العدو وقنابله التي يمطرها عليه .

وهنـاك الغواصات ، وهي تلعب دوراً خطيراً في الحروب ، والغواصة هي السفينة الوحيدة التي لا صديق لها في البحر زمن الحرب ، فالسفن المعادية لها أو غير المعادية تصيبها بقنابلها بلا توان قبل أن تصيبها بضُرّ من قذائفها المهلكة .

ومهمة قائد الغواصة مهمة حرجة ، فهو إذا اقترب من هدفه الذي يقصده يتحرك ببطء وحذر خشية الطائرات التي قد ترقب حركته تحت الماء ، فإذا تبينتها انقضت عليها الطائرة بمجرد لمحها ، وأمطرتها بشحنات محملة بأقوى ما يمكن من مفرقعات .

فإذا أمكن للغواصة أن تتفادى هذه الضربات القوية ، فإنها ترحف نحو ضحيتها المطلوبة ، وبنظرة خاطفة في البيرسكوب من قائد الغواصة يقدر اتجاه وبعد سفينة العدو ، بينما يكون هناك شخص آخر يقدر سرعة السفينة التي تهاجمها ، ويرقب قائد الغواصة إصابة التوربيدات ، ليعدل في الإصابة التالية إذا احتاج الأمر ، وحتى تنتهي مهمته بسرعة ليختفي تحت سطح الماء بعيداً عن الوابل الذي تلقيه عليه الطائرات ، والذي إذا أصاب الغواصة أودى بها في أعماق المحيط .

***

هذه لمحة خاطفة تعطينا فكرة مبسطة عما يحدث في المواقع الحربية البحرية التي نتلمس أخبارها في الصحف اليومية ، دون أن نحس بهول ما يصادف القائمين بها من أخطار وموت محقق .

السيد محمود زكي

حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٩٤٢/٩/٢ في القضية ٣٢٩٤ سنة ١٩٤٢ بتغريم جرجس روفائيل المزارع بكفر سلامه إبراهيم خمسة جنيهات لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة

اسكندر الإسكندرية :

الألعاب الأولمبية

في عُكاظ الإغريقية

للدكتور أحمد زكي بك

في عام ١٨٩٤ ، نادى البارون پير دى كوبرتين Pierre de Coubertin ، وهو رجل فرنسي ، بإحياء الألعاب الأولمبية . وفي سبيل هذا النداء أرسل منشورات إلى كل هيئة ذات بال تُشرف على الألعاب البدنية في الأمم ذوات الخطر . وقال فيما قاله : « وقبل كل شيء علينا أن نحتفظ في هذه الألعاب بصفات النبل والفتوة التي ميّزتها فيما مضى ، حتى تظل تلعب دوراً في تربية الشعوب اليوم كذلك الدور الكبير الذي لعبته [illegible] في ذلك العصر الإغريقي القديم . »

وكان أول اجتماع بُعث فيه هذه الألعاب في عاصمة اليونان — أثينا . وكان هذا بعد الدعوة بسنتين اثنتين ، أي عام ١٨٩٦ . وكانت الألعاب تُعقد في العهد الإغريقي كل أربع سنوات . فهكذا فعلوا عند إحيائها ؛ فكان انعقادها الثاني عام ١٩٠٠ ، وكان في باريس . وكان اجتماعها الثالث عام ١٩٠٤ ، في مدينة سانت لويس بالولايات المتحدة . وقد عانت تلك الاجتماعات الثلاثة الأولى نقصاً في التجهيز أو سوءاً في التنظيم أو قلة في تمثيل الأمم . حتى إذا جاء عام ١٩٠٤ انعقدت هذه الألعاب في لندن ، فكان لها فيها أول نجاح لفت الأممَ إليها . وفي عام ١٩١٢ انعقدت الألعاب في استُكهُلْم عاصمة السويد . ثم جاءت الحرب العالمية الماضية فقطعتها . ثم جاءت السلم من بعد ذلك . فكانت الدول في تخاذلٍ ما مع بعد الحرب وخَوَره . ثم أعيدت في عام ١٩٢٤ . ثم قطعتها الخصومات والحرب الحاضرة .

وليس من غرضنا التعريف بالألعاب الحاضرة ، فليس من حيٍّ لم يسمع بها ، وليس من حيٍّ لم يقرأ في الصحف وصفها — حيِّ النفس لا حيِّ الجسم — وليس من مصري ذي ثقافة يجهل أن مصر مُثلت فيها . ولكن غرضنا الحاضر هو التعريف بها في مهد الإغريق — هو التعريف بذلك الأصل القديم الذي يستعيد الحاضر صُوَرَه . .

وقد قلنا إن دعوة البارون الفرنسي لأوروبا لإحياء هذه الألعاب كانت عام ١٨٩٤ . وهذه الألعاب ألغاها في الإغريق امبراطور الرومان النصرانيّ تيودسيوس الأكبر Theodosius عام ٣٩٤ بعد الميلاد ، وكانت بلاد الإغريق عند ذاك ولاية رومانية . فدعوة البارون جاءت بعد ألف ونصف ألف من السنين من ذكرى هذا الإلغاء ، وجاءت لا شك في هذا التاريخ تعمّداً .

فلنرجع بأنفسنا القهقرى تلك الخمسة عشر قرناً لنرى هذه الألعاب عند الإغريق ، ما كان شأنها ، وما كان خطرها ؟ ولكن هذه الألعاب دامت في انتظام غير مقطوع عندهم اثنى عشر قرناً ، بل وراء ذلك قروناً . فلنرجع بأنفسنا كلَّ هذه القرون لنتعلم أن الإنسان اليوم في حياته الحُدَثَى ، لا يزال يستوحي ذلك القديم الأقدم فيما يتصل بجسمه وروحه . وتلك الألعاب كانت في ظاهرها أمسّ بالجسم . وكانت في باطنها أمسّ بالروح . ولم تكن عندهم لهواً ولعباً ، فقد كان رباطها بالدين وثيقاً . وكانت ، على قِدَمها ، من التمام بحيث لم يجد الأحدثون جديداً ذا خطر يضيفونه إلى ذلك القديم يَسُدُّون به ثغرة أو يستكملون به نقصاً .

لقد كان الإغريق في البعيد الأبعد من التاريخ ، في تلك الحِقَب التي تغوص بقدمها اليمنى في مجهوله ، وبقدمها اليسرى في معلومه ، كانوا يجتمعون كما يجتمع الأقوام لقضاء حاجة الإنسان الاجتماعي في مَفرحةٍ أو مَحزنة أو مَسلاة . فكانوا يجتمعون فيتبارَون في الشعر ، ويتبارون في الغناء ،

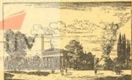
وكانت تلك العصور عصور حرب دائمة، فكان مما يتبارون فيه مظاهر الفتوة من الإنسان. واشتق الخيال الإغريقي من تلك المظاهر تلك الرياضات البدنية من سباق الراجل، وسباق الراكب، ومصارعة وملاكمة، إلى أكثر تلك المباريات التي نألفها اليوم وتألفها كل دولة مدنية من دول العصر الحاضر. ومن غريب أمرهم أنهم كانوا يقيمون ألعاب الفتوة هذه عند احتفالهم عوتاهم من ذوي الخطر ومن الملوك. أو هم كانوا يكرّسونها لإله من آلهتهم، أو بطل من أبطالهم، والبطولة عندهم خطوة يخطوها الخاطي من الناس نحو القدسية والخلود. ومن هذا ندرك معنى الجد في هذه الألعاب. وجمعوا بين تلك المباراة في الفتوة، وتلك التي كانوا يعقدونها للشعر والغناء، فأمّ الأغريقُ تلك المجامعَ من كل صوب. وبلغت أربعةٌ من تلك المجامع مرتبة الشيوع الكامل، فصارت أهلية تقصدها الشعوب الإغريقية في البلد الأم وفي المستعمرات [illegible] وبزّتها جميعاً تلك الألعاب التي انعقدت مجامعها في بلدة أولمبيا في الجانب الغربي من شبه الجزيرة الإغريقية جنوب برزخ كورنته، غير بعيد من اسبرطة عاصمة الدوريين.

بلاد الإغريق السفلى

وكانت حروب الدوريين في نزوحهم إلى الجنوب قد قلبت نُظم الحياة، وأشاعت في الناس القلق، وجعلت العيش صراعاً دائماً، والأمنَ حُلماً قديماً. وقطعت تلك الحروب ألعاب أولمبيا زماناً طويلاً. ثم كان في هذا الاختلاط أن تولّى أميرٌ عرش إيليس، اسمه إيفيتوس Iphitus. ولم يكن رجلاً ذا حرب، وكان جنّاحاً للسلم. فلما رأى من حال قومه وغير قومه ما رأى، من صراع غير نافع، إلا أن يكون الهلاك نفعاً، خطر له أن يتعرف مشيئة الآلهة في ذلك. فجمع قومه الإيليّين وأفضى لهم برغبة نفسه، فأجمع أمرهم على إيفاد وفد من كبرائهم إلى معبد أبولو، بمدينة دلْفي، قُدسِ الإغريق أجمعين، وإلى كَهَنة هذا المعبد يلقون بهذا السؤال: إن غضب الآلهة قد حلّ بالشعوب الإغريقية حتى أوشكت الحرب أن تفنيها، فهل من سبيل إلى استرضاء الآلهة؟ وخرج الوفد في احتفال [illegible] الإغريق قاصيهم ودانيهم. فجاء الجواب من لسان الرب، وهو لسان الكهنة كما قدمنا، هكذا: «إن الألعاب الأولمبية كانت لتمجيد الإله الأكبر زُيوس. وقد وَقفتم أيها الإغريق تلك المحافل القدسية فحلّ بكم غضب الله، فهي لا بد أن تعود ليرضى. فإن هي عادت، صارت الحرب أثناءها حراماً على كل دولة ومدينة تشترك فيها». وذاع جواب الرب في الإغريق وشاع. ولبّى هذا الدعاء أمير إيليس أولَ من لبّى، وأمر بالهدنة أن تكون في قومه فكانت. ولكن الدول والمدائن الإغريقية الأخرى ساءها أن يكون لإيليس هذه الزعامة، ولم يقووا على عصيان صوت الله، فلم يكن لهم من سبيل إلا أن يتشككوا فيه. فاعتزموا أن يبعثوا وفداً إلى إلى الكهنة من عندهم يستنطق الرب من جديد. وكان الكُهّان قوماً ذوي حكمة وذوي صلابة. فجاء لسان الرب يؤكد ما قال فيقول: «على الشعوب الإغريقية ان تأتمر في هذا بأمر الإيليّين،

وتستهدى بهديهم ، فى استرجاع ماضى عاداتهم وشريعة أسلافهم » .

بهذا تذرّع أمير إليس فى استعادة تلك الألعاب ، فقضى بأن يُقام للإله الأكبر حفل كبير فى معبده من أوليميا مرة كل أربع سنوات . وأن يُؤذَن لكل الإغريق بالشركة فيه ، وبأن تُذبح فيه الذبائح ، وتُقرَّب القرابين . وأن تُلعب الألعاب فى تمجيد الرب . وبما أن الحرب تمنع الإغريق أفراداً أو شعوباً من حضور هذا الحشد الإلهى ، إذاً وجبت الحرب أن تكون حراماً فى كل أرض إغريقية ، زماناً من قبل انعقاده ، وزماناً من بعده ، فمن استباح حرمة تلك الأيام فعليه لعنة الله الأكبر زِيُوس ، صاحب الحشد



أوليميا كما كانت فى أعهد الإغريق ،
وفى أوسطها معبد الرب الأكبر زِيُوس .

وحاميه . وقضى أمير إليس ، إنفاذاً لمشيئة الرب : أن يكون قومه الإليسيين قُوّاماً على تلك القرابين والألعاب ، وأن يكونوا قساوسة المعبد ما طال الزمان . وقد حفظ الإغريق لهم تلك السكانة قروناً . وقضى أمير إليس ، انفاذاً لمشيئة الرب أيضاً ، أن تكون إليس نفسها حرماً لا يُباح فيه قتال ، فإن غزاها غازٍ ، صار على الإغريق فرضاً أن يغزوا غازيها ، وقد احترم الإغريق هذا الحرم أيضاً ، فلم يُقم فى إليس للدفاع عنها قلاع .

ويظهر أن هذه الألعاب ، الألعاب الأولمبية ، استكملت شأنها عام ٧٧٦ قبل الميلاد . ففيه ، هذا العام ، كان أول سجل لكل من أحرز سبقاً فيها . ورجل اليوم يقرأ تلك السجلات فيعجب لكل هذه الدقة وهذه العناية . واتخذ الإغريق من هذا العام تاريخاً ، يؤرخون به على الأخص آدابهم . وأسموا فترة الأربع السنوات « بالأوليباد » Olympiad . فقالوا الأوليباد الأول والعاشر والمئوى ، إلى نحو التسعين بعد الثلاثمائة . وطاولت هذه الألعاب الزمن أكثر مما طاوله استقلالُ الإغريق ؛ فعاشت من بعد ضياعه فى أحضان الرومان أكثر من خمسة قرون من الزمان .

وهكذا ارتفعت تلك القرية الصغيرة ، قرية أوليميا ، إلى أن صارت مجتمع الدول الإغريقية ، ومحجّهم ، كل أربعة أعوام . فكان فيها تعبدهم ، وكانت فيها ألعابهم ، وأنشدت فيها أشعارهم ، وغنى مغنوهم ، ورقص راقصهم ، وتحاور متحاورو ساستهم ، وعقد الصفقات تجارهم ، وكل هذا فى شهر حرام لا يستبيح حرمانه إلا الجاحدون . ولم يكن الإغريق [illegible] ، لكثرة مواطنهم بكثرة دولهم ، [illegible] فى مدائن ، فاتخذوا من أوليميا لهم [illegible] أدبية لما عزّتهم العاصمة السياسية .

(لها بقية) أحمد زكى

الفقـــــير ...

ما بالُه والأسى قسْراً يُساوِرُهُ
والبؤسُ ، والهمُّ ، والبَلوى تُزاحِرُهُ

جاءت بعسكرِها الأيامُ صاخبةً
عليه ، إذ عزّ بين النّاسِ ناصِرُهُ

فراحَ يَرْزَحُ في عبءٍ ينوءُ به
بِشكاةٍ تُرسِلُ الشّكوى خواطِرُهُ

قد ألجمتْ فمَه البأساءُ إذ طَفِقَتْ
بقارعِ الألمِ الدّامي تُحاوِرُهُ !

يُمسي على مَضَضٍ ، يُضحي على سَغَبٍ
فالبردُ زاجرُه ، والجوعُ قاهِرُه

***

وكم يتيمٍ ظلامُ الليلِ من خَلَقٍ
على تَضــارِيهِ سُلَّتْ بَوارِرُهُ

ملوعــةُ اليُتمِ شُبّتْ نارُها ضَرَماً
عليه ، والذلُّ قد هبّت أعاصِرُهُ

فباتَ يرتقبُ الجــوزاءَ ناظِرُه
مُسهّداً ، ويُبنِي قصورَ الوَهْمِ خاطِرُهُ

***

وكمْ من النّاسِ مَنْ يحتَزُّ من جشَعٍ
خُبْزَ الفقيرِ ، ولا يَثْنيه زاجِرُهُ !

خمرُ الأنانيّةِ الشّوهاءِ قد ذهبتْ
بعقلِه ، فــإذا ماتتْ مَشاعِرُهُ !

و « الاحتكارُ » مَشى فيه إلى أمدٍ
يرتدُّ ، وهُوَ كليلُ الطرفِ ، ناظِرُهُ

يعيش بأرباحــه قرّتْ نواظِره
و « ابنُ السبيل » أمسى تدمى محاجِرُه

***

مهلاً أخا المال ، إنّ المال خالِدُه
فانٍ ، وما المرء إلا الموتَ آخِرُه

ما قيمةُ المالِ إنْ لم تنتفع شرفاً
به ومجداً لسانُ الدهرِ ذاكِرُهُ ؟

***

يا من يرومُ فخاراً غيرَ مندثرٍ
كُنْ « حاتماً » ففؤادُ الحمد شاكِرُه

(الكاظمية — بغداد) **علي جليل الوردي**

■ حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢/٩/١٩٤٢ في القضية ٢٣١٧ سنة ١٩٤٢ بتغريم السيد عطوة من أبي طواله أربعة جنيهات لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة .

■ حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢/٩/١٩٤٢ في القضية [illegible] سنة ١٩٤٢ بتغريم عبد العزيز عطية من القنة ثلاثة جنيهات لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة .

■ حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢/٩/١٩٤٢ في القضية ٢٣١١ سنة ١٩٤٢ بتغريم السيد عطوة بدران من التلين عشرة جنيهات لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة .

■ حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢/٩/١٩٤٢ في القضية ٢٣٠٦ سنة ١٩٤٢ بتغريم محمود محمد مكي من أبي طواله ثلاثة جنيهات لامتناعه عن تقديم الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة .

■ حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٢/٩/١٩٤٢ في القضية ٢٢٩٦ سنة ١٩٤٢ بتغريم أبو فرخ طنطاوي فلاح بالصوافين البحرية جنيهين لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة .

■ حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٦/٩/١٩٤٢ في القضية ٢٨٤١ سنة ١٩٤٢ بتغريم عثمان علي الباجوري من التلين ثلاثة جنيهات لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة .

■ حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ١٦/٩/١٩٤٢ في القضية ٢٧٣٨ سنة ١٩٤٢ بتغريم أحمد رمضان الصيري من التلين جنيهين لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة .

■ حكمت محكمة الشرقية العسكرية بتاريخ ٩/٩/١٩٤٢ في القضية ١٣٠١ سنة ١٩٤٢ بتغريم محمد عبد الهادي من التلين ٧٥٠ قرشا لامتناعه عن بيع الذرة الفائضة عن حاجته للحكومة .